

الشريم في خطبة الجمعة : مفهوم كف الأذى أعم من حصره في من صدر منه الأذى

أمّ المصلين في خطبة الجمعة بالمسجد الحرام فضيلة الشيخ الدكتور سعود بن إبراهيم الشريم إمام وخطيب المسجد الحرام وتحدث فضيلته في خطبته الأولى الخلق الرفيع وأنها من صفات المسلم فقال : الخلق الرفيع سمة المسلم الهين اللين التقى النقي، المسلم النافع، المسلم المسالم، المسلم الذي لا غل فيه ولا حسد، ولا أشر ولا بطر، المسلم الذي يحمل في قلبه حق نفسه وحق الآخرين، المسلم الحنيف الذي لا يغيب عن وعيه حاجته وحاجة مجتمعه إلى التواد والتراحم لا التشاحن والتنافر، المسلم اللبيب الذي يحسن استحضار حرمة الآخرين والنأي بنفسه عن أن يطال أحدا منهم بشر أو أذى ما قل منه أو كثر، فإن من حق المسلم على أخيه أن يكون سلما له وعضوا فاعلا في جسد الأمة الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، إنه المسلم الذي يدرك أن المجتمع المتآلف لا تخترمه المشكلات مادام كل فرد من أفرادها كفا أذى لسانه ويده عن الآخرين، لأن الأذية ثقب في سفينة مجتمعه الماخرة، وأن تعدد الأذى بينهم فيها إنما هو تعدد في الثقوب ولا شك، وليس ثمة إلا غرق السفينة ما من ذلك بد.

وأكمل فضيلته عن الأقوال والأعمال والتي تلحق الضرر بالآخرين فقال: كل عمل أو قول من شأنه أن يلحق ضررا بالغير حسيا كان أو معنويا، وكلمة الأذى لفظة لا تحتمل إلا الذم لا غير، فهي لا حسن فيها بوجه من الوجوه؛ إذ لم يأت ذكرها في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم إلا مذمومة مردولة، وهكذا هي في أقوال السلف الصالح والحكماء ذوي الجهد، إنها كلمة تنفر من مجرد لفظها طباع الأسوياء الأنقياء، فكيف بنتيجتها وأثرها إذ ذل، وإن فؤاد السوي ليأبى أن يميل إلى الأذى لأنه من طباع العقارب أعادنا الله وإياكم من ذلك.

واختتم فضيلته الخطبة الأولى عن كف الأذى وتحدث عن طريقه فقال : إن مفهوم كف الأذى عباد الله: أعم من أن يكون منحصرًا في من يصدر منه الأذى نفسه، بل إنه ليتسع معناه ليعم كل من يستطيع كف أذى الغير عن الناس وإن كان بإزالة القذى عن الطريق، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها أمأطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان".

وقد نص بعض أهل العلم أنه إذا كان هذا الفضل في إزالة الأذى عن الطريق فإن إزالته عن القلوب أعظم فضلا، وكما أن الأذى يكون بالقول أو الفعل، فإنه كذلك يكون بالامتناع عن القول أو الفعل إذا كان فيهما إحقاق حق لأحد أو إبطال باطلا؛ لما رواه البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

"أنصر أخاك ظالما أو مظلوما، فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟ قال: تحجزه، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره".

وابتداء الشريم الخطبة الثانية بفضل كف الشر عن الآخرين وأنها من أنواع الصدقة فقال: أن ثمة صدقة عظيمة تنفع المسلم وترفعها، صدقة لا تحتاج إلى مال ولا إلى بذل جهد جسدي ولا لفظ قول، صدقة يستوي فيها والقوي والضعيف والغني والفقير، إنها صدقة المرء بكفه الشر عن الآخرين؛ فعن أبي ذر قال: قلت يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله قلت: أي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمنا. قلت: فإن لم أفعل؟ قال: تعين مانعا أو تصنع لأخرق قلت: يا رسول الله أ رأيت إن ضعفتُ عن بعض العمل؟ قال: تكف شرَّكَ عن الناس فإنها صدقةٌ منك على نفسك " متفق عليه.

واختتم فضيلته الخطبة الثانية وقال : كف الازى يعتبر خيراّ وإنه لا يشك عاقل البتة أن من ابتغاء الخير الكف عن الشر، وقد قيل كما تدين تدان ، وقيل الجزاء من جنس العمل، فإن من آذى أخاه المسلم لحقه الأذى عاجلا أو آجلا، وقد قال الإمام مالك رحمه الله:

أدرکت بالمدينة أقواما ليس لهم عيوب فعابوا الناس فصارت لهم عيوب، وأدرکت بالمدينة أقواما كانت لهم عيوب، فسکتوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم.

فالحذر الحذر عباد الله من مغبة الإيذاء، فإنه الطبع المهلك، والعمل الماحق، الذي يجلب الإثم المبين، والعذاب المهين، قال الله في محكم كتابه (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا).